بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

لم يكتف أعداء أهل البيت عليهم السلام بمحاولتهم إطفاء نور الله بقتل الأئمة المعصومين عليهم السلام وخلفاء رسوله صلى الله عليه وآله، أو بقتل وعقوبة من يتحدث عنهم وعن فضائلهم حتى وصلت النوبة إلى تهديم قبورهم عليهم السلام محاولين مرة ثانية وثالثة... لأن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو الكافرون، فمن قبل هدموا قبر الإمام الحسين عليه السلام عدة مرات، ظنا منهم أنهم يستطيعون بذلك أن يمحو ذكر الحسين عليه السلام، إلا أن النتيجة كانت على العكس من ذلك تماما فقد رأوا أن هذا النور يزداد توهجا بالرغم مما بذلوه من جهد للقضاء عليه، ولذا اتخذوا طريقة أخرى للقضاء على هذا النور وذلك بتهديمهم لقبور بُناة الإسلام وأئمة الهداية الموجودة في البقيع، وانتهاك حرمتها وقدسيتها وها هم اليوم يتسللون إلى العراق لينفّذوا ما فشلوا به سابقا من تهديم قبور الأئمة عليهم السلام فيه مخالفين بذلك كل القوانين الشرعية والوضعية، لكنهم لم يفلحوا بذلك، ولم تكن ظلامة الأئمة عليهم السلام المدفونين في البقيع في حياتهم فقط، وإنما مستمرة إلى وقتنا الحاضر، من خلال هدم قبورهم وحرمان شيعتهم من زيارتهم وهو ظلم واضح جلي.

البقيع:

بقعة شريفة طاهرة في المدينة المنوّرة قرب المسجد النبوي الشريف ومرقد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فيها مراقد الأئمّة الأربعة المعصومين من أهل بيت النبوّة والرسالة عليهم السلام، وهم: الإمام الحسن المجتبى، والإمام علي زين العابدين، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام.

جريمة آل سعود:

بعدما استولى آل سعود على مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وضواحيهما، بدأوا يفكّرون بوسيلة ودليل لهدم المراقد المقدّسة في البقيع، ومحو آثار أهل البيت عليهم السلام والصحابة، وخوفاً من غضب المسلمين في الحجاز وفي عامّة البلاد الإسلامية، وتبريراً لعملهم الإجرامي المُضمر في بواطنهم الفاسدة، استفتوا علماء المدينة المنوّرة حول حُرمة البناء على القبور، فكتبوا استفتاءً ذهب به قاضي قضاة الوهابيين سليمان بن بليهد مستفتياً علماء المدينة، فاجتمع مع العلماء أوّلاً وتباحث معهم، وتحت التهديد والترهيب وقّع العلماء على جواب نُوّه عنه في الاستفتاء بحُرمة البناء على القبور؛ تأييداً لرأي الجماعة التي كتبت الاستفتاء وكان ذلك في

الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٤٤هـ.

واستناداً لهذا الجواب اعتبرت الحكومة السعودية ذلك مبرّراً مشروعاً لهدم قبور الصحابة والتابعين، وهي في الحقيقة إهانة لهم ولآل الرسول صلى الله عليه وآله، فتسارعت قوى الشرك والوهابية إلى هدم قبور آل الرسول صلى الله عليه وآله في الثامن من شوّال من نفس السنة -أي عام ١٣٤٤هـ- فهدّموا قبور الأئمّة الأطهار عليهم السلام والصحابة في البقيع، وسوّوها بالأرض منتهكين بذلك حرمة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وصحبه الأخيار، ونهبوا كلّ ما كان في ذلك الحرم المقدّس، من فرش وهدايا وآثار قيّمة وغيرها، وحَوّلوا ذلك المزار المقدّس إلى أرضٍ موحشة مقفرة.

وبعدما انتشر خبر تهديم القبور، استنكره المسلمون في جميع بقاع العالم على أنّه عمل إجرامي يسيء إلى أولياء الله ويحطّ من قدرهم، كما يحطّ من قدر آل الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه، وأخذ الرأي العام في داخل الحجاز والعالم الإسلامي، بتفنيد هذه الفتوى المخالفة لجميع الشرائع السماوية فضلا عن الشريعة الإسلامية.

وليت شعري أين كان علماء المدينة المنوّرة عن منع البناء على القبور ووجوب هدمه قبل هذا التاريخ؟! ولماذا كانوا ساكتين عن البناء طيلة هذه القرون من صدر الإسلام وإلى يومنا هذا؟!

ألم تكن قبور الشهداء والصحابة منبياً عليها؟ ألم تكن هذه الأماكن مزارات تاريخية موثّقة لأصحابها؟ مثل مكان: مولد النبي صلى الله عليه وآله، ومولد فاطمة عليها السلام، وقبر حوّاء أُمّ البشر والقبّة التي عليه، أين قبر حوّاء اليوم؟ ألم يكن وجوده تحفة نادرة يدلّ على موضع موت أوّل امرأة في البشرية؟ أين مسجد حمزة في المدينة ومزاره الذي كان؟ أين وأين... .

تهديم قبور البقيع مرتين في التاريخ:

الوهابيون وكما هو معروف قد ورثوا الحقد الدفين ضد الحضارة الإسلامية من أسلافهم الطغاة والخوارج الجهلاء فكانوا المثال الصادق للجهل والظلم والفساد فقاموا بتهديم قبور بقيع الغرقد مرتين:

الأولى: عام ١٢٢٠هـ كانت الجريمة التي لا تنسى، عند قيام دولة آل سعود حيث قاموا بأول هدم للبقيع وذلك عام ١٢٢٠ هـ وعندما سقطت الدولة على يد العثمانيين أعاد المسلمون بناءها على أحسن

هيئة من تبرعات المسلمين، فبنيت القبب والمساجد بشكل فني رائع حيث عادت هذه القبور المقدسة محط رحال المؤمنين بعد أن ولى خط الوهابيين لحين من الوقت.

الثانية: عام ١٣٤٤هـ فقد عاود الوهابيون هجومهم على المدينة المنورة مرة أخرى في عام ١٣٤٤هـ وقاموا بتهديم المشاهد المقدسة للأئمة الأطهار عليهم السلام وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد تعريضها للإهانة والتحقير بفتوى من وعّاظهم، فأصبح البقيع وذلك المزار المهيب قاعا صفصفا لا تكاد يعرف بوجود قبر فضلا عن أن تعرف صاحبه.

الأدلة على جواز بناء القبور في القرآن الكريم:

إنّ البناء على القبور ليس فيه محذور أو نهي صحيح يمنع منه، وقد حكم أئمة المسلمين من كل المذاهب بجواز البناء على القبور، إلا الشاذ النادر لرأي ارتآه، فهذه سيرة السلف خير شاهد على ذلك، وهذه قبور الأنبياء والأولياء وأعلام أئمة المسلمين من كل المذاهب تنطق بالشهادة على جوازه في الحجاز والعراق وإيران والشام والمغرب ومصر و...، وهذا قبر النبي صلى الله عليه وآله قد بني عليه منذ مئات السنين، وكان يجدد البناء عليه بين الحين والآخر حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، وإليك بعض الأدلة على جواز بناء القبور من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف:٢١، أخبرنا الله تعالى عن المؤمنين الذين قرّروا أن يتّخذوا من مضجع الفتية المؤمنة مسجداً يسجدون لله سبحانه فيه، ويعبدونه وهم مؤمنون وليسوا بمشركين، ولم يذمّهم الله تعالى على ذلك.

وممّا لا شك فيه أن شأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، أرفع من شأن أولئك الفتية، فإذا جاز بناء قبورهم، فبالأولى جواز ذلك بالنسبة إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

٢- قال تعالى: ﴿قل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى:٢٣، تدل هذه الآية على وجوب مودّة قربى الرسول صلى الله عليه وآله، وهو وجوب مطلق لم يقيد بزمان دون آخر، ولا مكان دون مكان، ولا كيفية دون أخرى، وممّا لا شك فيه أن تعهد قبر شخص ما بالبناء والإعمار والتجديد من جملة المصاديق العرفية لهذه المودة.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

الحج:٣٢، وقال عزوجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ الحج:٣٠، ولا شك ولا ريب أن صون المعالم الدينية عن الاندراس- كالمشاهد المتضمّنة لأجساد الأنبياء والصالحين - وحفظها عن الخراب بناءاً وتجديداً نحو من أنحاء التعظيم، كما أن حفظ المسجد عن الخراب تعظيم له.

ولا يخفى أن الله تعالى جعل الصفا والمروة من الشعائر والحرمات التي يجب احترامها، فكيف بالبقاع المتضمنة لأجساد الأنبياء والأولياء، فإنها أولى بأن تكون شعاراً للدين، كيف لا؟ وهي من البيوت التي أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، فإن المراد من البيت في الآية هو: بيت الطاعة، وكل محل أُعدّ للعبادة، فيعم المساجد والمشاهد المشرفة لكونها من المعابد، ولو لم يكن في الشريعة ما يدل على تعمير المساجد وتعظيمها واحترامها، لأغنتنا الآية بعمومها عن الدلالة على وجوب تعمير المسجد وتعظيمه، وإدامة ذكر الله فيه، لكونه من البيوت التي أذن الله أن ترفع، ومثل المسجد في جهة التعمير والتعظيم والحفظ، المشاهد التي هي من مشاعر الإسلام ومعالم الدين.

جواز زيارة القبور والبناء عليها في السنة الشريفة:

لا خلاف بين الأمة أن رسول الله لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس فقعد عنده طويلا ثم استعبر، فقيل له: يا رسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أمي آمنة بنت وهب، سألت الله في زيارتها فأذن لي. راجع بحار الأنوار: ج١٠، ص٤٤١، ورَوى مسلم في صحيحه: (زارَ النَّبِيُّ قَبْرَ أُمِّه، فَبَكى وَأَبْكى مَنْ حَوْلَهُ... وَقالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أنْ أزُورَ قَبْرَها، فأَذِنَ لي، فَزُوروا الْقُبُورَ فَإنَّها تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ). (صحيح مسلم: ج٣، ص٦٥).

وجاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضوان الله تعالى عليه: قال لي رسول الله: **(يا أبا ذر أوصيك فاحفظ لعل الله ينفعك به: جاور القبور تذكر بها الآخرة، وزرها أحيانا بالنهار، ولا تزرها بالليل)**. (راجع مستدرك الوسائل: ج٢، ص٣٦٣).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **(زوروا موتاكم فإنهم يفرحون بزيارتكم وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بعدما يدعو لهما)**. (الخصال: ص٦١٨).

وإنّ من أبرز العبر، إنّها توفّر للزائر أجواء يستوحي منها ذكر الموت والزهد في الدنيا والعمل للآخرة والإقبال على الله، فيشد عزيمته

لمواصلة درب الصلحاء والأولياء، فالزائر يستلهم من منهجهم الوعي المحفز لمواصلة ركب الإيمان، ثم إن النبيﷺ وهكذا أصحابه، عملوا على بناء الحِجر ولم يأمروا بهدمه، مع أنه مدفن نبي الله إسماعيلﷺ وأمّه هاجر، وهكذا إقرارهم على بناء قبر النبي إبراهيم الخليلﷺ، وبقية قبور الأنبياء والمرسلين حول بيت المقدس.

ثم إقرار الصحابة على دفن رسول اللهﷺ في الحجرة التي توفّي فيها، وهي مشيّدة بالبناء، ودفن الأول والثاني فيها من بعد النبيﷺ ولم يأمروا بهدمها، بل العكس أمروا بإعمارها، دليل قاطع على جواز البناء على القبور، أضف إلى ذلك الأدلة والروايات الواردة في كتب الفريقين في الحث على زيارة القبور، وجواز البناء عليها، وإليك بعضها:

الأول: روى الحر العاملي في (وسائل الشيعة: ٣/ ٢٠٣) عن أبي عبد الله قال:ﷺ **قَبرُ رسول اللهﷺ محصب حصباء حمراء**، وروى السنة مثل أبي داود في (سننه ٢/ ٨٤) والحاكم في (مستدركه ١/ ٣٦٩) وصححه ووافقه الذهبي عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة فقلت يا أماه اكشفي لي عن قبر النبيﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة (أي: غير مسواة بالأرض) مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء.... (يعني مفروشة عليها الحصى الأحمر).

ورى الشافعي في مسنده والبيهقي في (سننه الكبرى ٣/ ٤١١) عن جعفر بن محمد بن أبيه أن النبيﷺ رش على قبر إبراهيم إبنه ووضع عليه حصباء قال الشافعي: والحصباء لا تثبت إلا على قبر مسطح.

الثاني: روى الكليني والطوسي عن يونس بن يعقوب قال: لما رجع أبو الحسن موسىﷺ من بغداد ومضى إلى المدينة وماتت ابنة له بفيد (قلعة بطريق مكة) فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصص قبرها ويكتب على لوح اسمها ويجعله على القبر.

وورد عند الشيعة والسنة أن النبيﷺ وضع حجرا على قبر عثمان بن مظعون عند رأسه ليعلمه به ويدفن عنده أهل بيته، فقد روى أبو داود في (سننه ٢/ ٨١) وحسّنه الألباني السلفي في كتابه (أحكام الجنائز ص١٥٥) وحسَّنه الحافظ ابن حجر أيضاً فرووه عن المطلب بن عبد الله قال: لّما مات عثمان بن مظعون خُرج بجنازته فدُفن فأمر

النبيﷺ رجلاً أن يأتي بحجر فلم يستطع حمله فقام إليه رسول الله ﷺ وحسّر عن ذراعيه... ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال: (**أُعَلِّمُ بها قبرَ أخي وأدفن إليه من مات مِن أهلي**).

الثالث: وورد أيضاً بأن إسماعيلﷺ قد دفن أمه هاجر في الحِجر، وحَجَر عليها وبنى قبرها كي لا توطأ، حيث روى الكليني في (الكافي ٤/ ٢١٠) عن أبي عبد اللهﷺ قال: (**إن إسماعيل دفن أمه في الحِجر وحَجَّر عليها لئلا يُوطأ قبر أم إسماعيل في الحجر**).

وروى السنة ذلك أيضاً، حيث قال الذهبي تلميذ ابن تيمية ومؤرخ السلفية في كتابه (تاريخ الإسلام ١/ ٢٠): وقال ابن إسحاق: يذكرون أن عُمر إسماعيل بن إبراهيم الخليل مائة وثلاثون سنة وأنه دُفن في الحجر مع أمه هاجر.

فنبي الله إسماعيل وأمه هاجر منذ آلاف السنين مدفونان عند الكعبة وعلى قبورهم حِجر إسماعيل وتدخل قبورهم في طواف الناس حول الكعبة حيث أجمع المسلمون على إدخال حجر إسماعيل في المطاف.

الرابع: وقبر موسىﷺ كان تحت الكثيب الأحمر كما يروي لنا البخاري (٤/ ١٣١) ومسلم (٧/ ١٠٠) ورسول اللهﷺ يرشدهم إلى ذلك القبر، قال رسول اللهﷺ: (**فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر**)، والكثيب هو: الرمل المجتمع كما قاله ابن حجر، وهو: الرمل الكثير المجتمع كما قال العيني.

الخامس: وورد عن فاطمة الزهراءﷺ بأنها كانت تزور قبر عمها الحمزةﷺ، فتعلِّمه بحجر، وكذلك ترممه وتصلحه، فقد روى عمر بن شبة في (تاريخ المدينة ١/ ١٣٢) وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٣/ ١٩) عن أبي جعفر الباقرﷺ بسندين اثنين قال: إن فاطمة بنت رسول اللهﷺ كانت تزور قبر حمزة تُرمّه وتصلحه وقد علمته بحجر، وعند عبد الرزاق في (مصنفه ٣/ ٥٧٤) بلفظ وكانت قد وضعت عليه علماً تُعَرِفه، وعند ابن عبد البر في (التمهيد ٣٢٤) بلفظ: وعلّمته بصخرة، وقد قال القرطبي في (تفسيره ١٠/ ٣٨١): وقال الشافعي: لا بأس أن يُطيَّن القبر.

السادس: قبر رسول اللهﷺ: فهو في داخل بناء حجرته الشريفة وداخل المسجد النبوي الشريف وبُنيت عليه قبة خضراء عامرة أدامها الله تعالى، بل صلّى الصحابة والتابعون عند قبره الشريف وفي

حجرته الشريفة حينما اكتض المسجد بهم فاتصلت صفوف المصلين في المسجد وفي حُجَر نساء النبيﷺ كما رواه مالك في (المدونة الكبرى/ لابن سحنون ١/ ١٥٢) و(تلخيص الحبير/ لابن حجر ٤/ ٤٧٩) و(السنن الكبرى/ للبيهقي ٣/ ١١١).

قال مالك حدثني غير واحد ممن أثق به: إنّ الناس كانوا يدخلون حُجَر أزواج النبيﷺ بعد وفاة النبيﷺ فيصلون فيها الجمعة، قال: وكان المسجد يضيق على أهله فيتوسعون بها، وحُجَر أزواج النبيﷺ ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة في المسجد، فهذه الرواية صريحة في صلاة الصحابة والتابعين عند قبر رسول الله).

ثم إن عائشة كانت تصلي في حجرتها عند قبر النبيﷺ وأبيها وعمر ولم يُنقل أنها كانت تخرج لتصلي، فالحجرة الشريفة والقبر الشريف في قبلة بعض المصلين في المسجد النبوي الشريف ممن يكونون على يسار الإمام فهؤلاء يصلّون وهو في قبلتهم وبين أيديهم.

السابع: روى البخاري (٢/ ٩٨) باب الجريد على القبر وذكر أن ابن عمر رأى فسطاطاً على قبر عبد الرحمن فقال انزعه يا غلام فإنما يُظله عمله، فوضعوا الجريد ووضعوا الفسطاط والقبة والخيمة ولم يقل ابن عمر إنه حرام ولم ينسب هذا النهي للنبيﷺ وإنما كان رأيه أن عمله سيكفيه ويريحه، بل صرح ابن حجر أن من وضع ذلك الفسطاط (بيت من الشعر) هي عائشة فقال في (فتح الباري ٣/ ١٧٧): عن ابن سعد في طبقاته: قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبد الرحمن بن أبي بكر فأمرت بفسطاط فضُرب على قبره ووكلت به إنساناً وارتحلت فقدم ابن عمر فذكر نحوه....

ولا زالت هذه الحالة موجودة حتّى في وقتنا الحاضر لقبور العظماء والملوك والخالدين، فهل توجد أخلد وأطهر من ذرّية رسول اللهﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً؟

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
٨٧

هدم

قبور أئمة البقيع

مأساة يندى لها الجبين

٨ شوال/١٣٤٤هـ